"سيميائية الصورة بين المخاطبة السينمائية والتفكير الفلسفي"

الأستاذة :غوار نادية جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم–

Summary :

The picture is consedeved as one of the discoveries of the last period and that nade a rodical change in the level of concepts and accordingly ,the research in the picture from the most importont issues .on head of oll the seen picture comes the cinematogrophc one ,becouse it put avisual dazzling , and the live picture and the moving one .this made of it a productive sight mack of significance asit has the ability of change and influence .and it is not obvious that radical connection appears between philosophy and cinema ;especially if we look at the suljject from thematic side and also a philosophical one .the new cinema as an artistic innovation depends on the technical elements whereas historically philosophy is a witness the aniency of thinking.

So ;if philosophy was a speech calle dit the analyse and the understouding purposes and visions and specific position and justify theses .

The cinema as afield of thechnical innovation stand by building amoving pictoure so that one seen picture is consedered as a thousand written word ;and what links cinema and philosophy to each other is the image of the idea .this latter inspirers philosophy in its innovation .while the cinema tries to cereate it ;and within this relation the production of philosophy transforms to masses of appropoprapriate novements in a seen woy of alived experience ;so the sinema is importants for a philosophein different sides ;and this because of its creation and invention of new pictures for life .and with this the bserver of the relation betwen the cinema and philosophy humself many questions such as :

What can philosophy give to cinema ?and what can sinema give to philosophy ? and after all this ;we can wonder how can we explain the deeps presence of philosophy in the cinematographic creativity ?and how can cinema be a responce to a philosophical purpose ?

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص :

تعتبر الصورة من الاكتشافات التي عرفتها الفترة الأخيرة، والتي أحدثت تغيرا جذريا على مستوى المفاهيم وعليه يعد البحث في الصورة من الموضوعات المهمة للغاية، وعلى راس كل الصور المرئية المؤثرة تأتي الصورة السينمائية، بوصفها إبهارا بصريا، وصورة حية ومتحركة وهو ما يجعل منها علامة بصرية منتجة للدلالة، كما لها القدرة على التعبير والتأثير.

وليس بديهيا أن ينشا اتصال جذري ما بين الفلسفة والسينما، خاصة إذا ما تم النظر إلى المسالة من وجهة إنشائية وكذلك فلسفية، فالسينما حديثة العهد كإبداع فني يعتمد على مقومات تقنية، في حين أن الفلسفة تاريخها شاهد على الفكر في أقدم ردهاته .فإذا كانت الفلسفة خطابا سمته التحليل والإفهام عند مقاصد ورؤى ومواقف محددة وتبرر أطروحات معينة، فان السينما بما هي مجال إبداعي تقني يقوم على بناء صورة متحركة بحيث تعبر الصورة المرئية الواحدة بألف كلمة مكتوبة ومن هذا المنطلق يمكننا القول أن فهم الفيلم لا يتم عبر المكتوب بل عبر المشاهدة والعلاقة بين المجالين تكمن أساسا في تجسيد المفكر فيه على الشاشة أي في الانتقال من الفكرة إلى الصورة وفي خضم هذه العلاقة يتحول منتوج الفلسفة إلى كتل من الحركات المتلائمة داخل تشكل مرئي لتجربة معاشة.

وعليه السينما تهم الفيلسوف على أكثر من صعيد وذلك بفضل خلقها وابتكارها صورا جديدة للحياة وبهذا فان المتأمل في علاقة الفلسفة بالسينما تراوده عدة تساؤلات من بينها:

ماذا يمكن للفلسفة أن تقدم للسينما ؟ وماذا يمكن أن تقدم السينما للفلسفة ؟.

وعلى ضوء هذا يمكننا أن نتساءل كيف يمكن تبرير حضور فلسفي بشكل عميق داخل إبداع سينمائي؟ وكيف تكون السينما استجابة لمقصد فلسفي؟

مقدمة:

لا جدال في أن البحث في الصورة يعد من الموضوعات المهمة للغاية خاصة والصورة قد فرضت سيطرتها وسطوتها على العقل الإنساني منذ القدم، وأية ذلك إنها امتلكت صبغة مقدسة في الفكر القديم وللصورة أهميتها الخاصة سواء في مجال الفن أو في مجال الدراسات الجمالية، فعلى مستوى الفن تعتبر الصورة جوهر الفن وسمته الأساسية وذلك لان الفن في ابسط معانيه هو إبداع صور أو أشكال معبرة وقابلة للإدراك الحسي، أما بالنسبة لأهميتها في مجال الدراسات الجمالية نلاحظ أن للصورة أهميتها الكبيرة نظرا لبلاغتها وتنوع دلالتها ومن هذا المنطلق اهتم بدراستها العديد من الفلاسفة في كل العصور.

فمنذ القدم أعلن أفلاطون أن هناك نوعين من الصورة :صورة مزيفة للحقائق الموجودة في عالم المثل تبعد عن الحقيقة بحيث يوهم صاحبها الناس بأنه يصور لهم الحقيقة وهو في الواقع مزيف، والأخرى صورة حقيقية تصدر عن فنان جيد يلم بالحقائق الموجودة في عالم المثل ويعبر عنها في صورة جمالية.[1]

ولم يختلف الحال في الفكر الجمالي المعاصر، حيث ظهر الاهتمام بالصورة بوضوح عند العديد من الفلاسفة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذين لم يترددوا لحظة في تتويج الصورة أو الشكل على باقي العناصر العمل الفني.[2]

ومن هنا يمكن القول بان الاهتمام بالصورة في تطور مستمر ولكنه قد زاد بشكل ملحوظ في الآونة الأخيرة لدرجة دفعتنا إلى القول بان العصر الذي نعيش فيه هو من الناحية الفنية عصر الصورة، وخاصة المتحركة منها التي استحوذت على العقل والوجدان .

ويرجع اهتمامنا وتركيزنا على الصورة السينمائية دون غيرها إلى انه إذا كانت الصورة قد فرضت سلطانها وسطوتها على العقل الإنساني منذ القدم .فان هذه السيطرة قد زادت بشكل قوي وخاصة مع اختراع السينما التي منحتها الحركة والحيوية

***سيميائية الصورة وتأثيرها:**

إن الصورة هي "لغة عالمية" فالإنسان في أي مكان يستطيع أن يشاهد صور غيره المنشورة على صفحات الصحف، والمعروضة على الشاشات وأن يفهم منها ما يتلاءم مع مستواه الفكري والثقافي متى أتيح له ذلك وليس شرط دائما أن يكون من العالمين بلغة كتابتها، أو تقديمها.[3]

بالتالي يمكن القول بان الصورة تزيل حواجز وعوائق اللغة، بين بني البشر، بحيث يمكن فهم مضمون الصورة دون أن نكون متمكنين من لغة مرسليها كما تستطيع أن تلعب دورا فعالا ومؤثرا كوسيلة اتصال إنسانية عامة تساعده في حياته.

ويتجلى تأثير الصورة من خلال :

*تعطي الصورة للمتلقي إحساسا بالشعور بأنهم يشاهدون ويشتركون في الحدث .

*توضح الصور للمشاهدين ردود أفعال ومشاعر الناس المشتركين في الأحداث ويمكن من خلال الصور التعبير عن عاطفة الفرح، الحزن، الخوف، الغضب وذلك أكثر من الكلمات.

*الصور تجعل من المتلقي عاطفيين وذلك بإثارة الذكريات الماضية وتوقعات المستقبل فصور طفل يلعب يمكن أن تجعل المتفرج سعيد .[4]

ومن هذا يتجلى لنا بان الصورة عبارة عن رموز بصرية الألوان والأشكال والحركات ومع دخول الصورة إلى عالم الفنون فقد احتلت موقعا مرموقا بالنسبة للصحف والمجالات وذلك لاحتوائها على عنصر الإثارة في حين يتخذها المخرج وسيلة للتجميل وتوصيل ما يريد إيصاله للمتلقي ولهذا توصف الصورة السينمائية بأنها علامة أيقونية خالية من الغموض أي من السهل استيعابها وفهمها إذ تقدم جاهزة وتبدو كأنها نقل شفاف للواقع.

*** الصورة بين التعبير السينمائي والتفكير الفلسفي:**

تعتبر السينما أداة مهمة من أدوات التعبير الفني الإبداعي شديدة التأثير على الجمهور المشاهد ، فهي تعبر عن الواقع بأسلوب إبداعي نجده في الأفلام بصور متحركة، وعليه فالسينما هي تعامل منظم مع الطبيعة يتم عن طريق تجمع منسق لخصائص سينمائية معينة تتميز بمجموعة من العلامات أو الإشارات وهذا ما يجعل منها نظاما سيميائيا.[5]

وبهذا صرح جيل دولوز بان السينما ممارسة جديدة للصور والعلامات ويجب على الفلسفة أن تؤسس النظرية الخاصة بها باعتبارها ممارسة مفهوميه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد بدأت مغامرة السينما كمغامرة الفلسفة كهف أفلاطون وصور مضاءة من الخلف وقاعة مظلمة مع صور متحركة بالأبيض والأسود والألوان وعليه أصبحت العلاقة بين السينما والفلسفة ذات معنى عندما قرر الإنسان الذهاب إلى السينما وقد تحول كهف أفلاطون إلى قاعة سينمائية حينها وجب عليها الانفتاح على أنماط جديدة من التفكير وعندها سطر أفلاطون أسطورة الكهف وبذلك مهد وبدون قصد إلى تقارب السينما والفلسفة .

وقد صاغ هذا المعنى" **غودار**":

"أنا أفكر ، إذن فالسينما موجودة "[6]

وعليه فالسينمائي يضع صورا وأصوات حية، بينما يعالج الفيلسوف مفاهيم مجردة وغير مرئية .

رغم ظهور السينما كان متأخرا بالمقارنة مع الفنون الأخرى لكنه في مرحلة الفلسفة هناك آليات مفاهيمية تشتغل بها السينما هي في الواقع مفاهيم لها عمق وتجذر فلسفي يعود بالتفكير إلى "أمثولة الكهف" لأفلاطون الواردة في الكتاب السابع من الجمهورية .

وبهذا أنشأت الفلسفة مع السينما علاقة متقاربة من جهة ومتباعدة من جهة أخرى بحيث استثمرت الفلسفة السينما في شخصيات كثيرة مثل :"**برغسون**" و"**دولوز**" و"**غودار**" وغيرهم وقد تطورت السينما على مدى ما يزيد عن قرن من الزمن وبرز دور "**دولوز** "في خلق عوالم وأزمنة متطورة وفي هذا الصدد قال "**دولوز**" :

"إن السينما لا تعرض صورا فقط ، فهي تحيطها بعالم محدد".[7]

وعليه نجد بان السينما منذ ظهورها مارست تأثيرا قويا على رجال الأدب والفنانين والمثقفين والفلاسفة بعدما كانت تعتبر مجال للترفيه والمتعة والتسلية وذلك عن طريق الصورة.

***حدود ما يمكن للفلسفة القيام به:**

ما زلت تعار يف الفلسفة تتنوع بتنوع مشاكل عصرها ، وقد طغت اليوم المسائل الإنسانية والوجودية حيث كانت الفلسفة عند القدماء معرفة موسوعية، شمولية، كونية الاتجاه وقفزت قفزة واسعة فاتجهت إلى البحث في ماهية الإنسان وشروط كماله وسعادته.[8]

وتتبدى شمولية الفكر الفلسفي بشكل متجدد عند" **تيبودي** "(**1874–1936**) عندما اعتبر " أن الفلسفة ليست العلم بكل شيء بل هي علم الكل المحيط بكل شيء "[9]

وعليه بدأ معنى الفلسفة ينفتح على مسائل جديدة متعلقة بالإنسان المعاصر ومسائل جديدة في حياته والمتعلقة بانفتاحه على مجالات جديدة كالأدب والمسرح والسينما.

وتغوص الفلسفة مع "**برغسون** "(**1883–1969**) فتصبح الفلسفة حاضرة في كل نواحي حياتنا بحيث أصبح الإنسان لا يستطيع الاستغناء عن الفلسفة إنها حاضرة دائما وفي كل مكان هي منتشرة عند العموم بالأمثال الشعبية وأقوال الحكمة.[10]

لقد تأكد لنا أن الفلسفة هي مشروع بحث عن الحقيقة وليست تملكا لها وإنها تفكير دائم في معارفنا ومشاعرنا ومستجدات حياتنا إلا أن مجال التفكير الفلسفي قد اتسع بشكل مدهش وازداد غنى مع تطور العلوم وتقنيات تطبيقاتها، وعليه فان أي معرفة يمكن أن تكون موضوع تفكير فلسفي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن هذا المنطلق يضع بعض دارسي الفلسفة لأنفسهم أمالا عريقة لدرجة غير معقولة عند دراستهم أو تفكيرهم الفلسفي بحيث يتوقعون أن تقدم لهم صورة كاملة ومفصلة للمأزق الإنساني ويظنون أن الفلسفة ستكشف لهم معنى الحياة وتفسر لهم كل جانب من جوانب وجودنا[11]

وعليه إن دراسة الفلسفة ليست بديلا من دراسة الفن والأدب والسينما وتركز تلك الموضوعات المختلفة على سمات مختلفة في الحياة وعليه ألا نفرط في توقعاتنا من الفلسفة .

وبهذا كثرت الأسئلة حول علاقة الفلسفة بالسينما والعكس، حيث نجد العديد من المخرجين الكبار يتجادلون مع الفلسفة ويصنعون رؤى خاصة بهم تدل على مخرجين مفكرين وفلاسفة عظام لديهم قدرة على التعبير عن أفكارهم الجادة بالصورة السينمائية

***حضور السينما في الممارسة االفلسفية :**

إذا كان دولوز قد اعتبرا لفلسفة إبداعا للمفاهيم فهو لا يفصل ما بين إبداع المفاهيم وإبداع الصور وهي المهمة التي يتكفل بانجازها الإبداع السينمائي

فالعلاقة بين الفلسفة والسينما ممكنة رغم التباعد بين المجالين فالسينما هي مجال للتفكير الفلسفي ، ومن ناحية ثانية تجد الفلسفة في السينما بما هو إبداع ، فالعلاقة تبدو مزدوجة وهو أمر لا ينجز البحث فيه من جهة الفلاسفة الذين انشغلوا بمسألة السينما فحسب ، وإنما كذلك هو أمر يستوجب الغوص فيه ضمن الدراسات وأبحاث المنظرين في مجال السينما.[12]

وبالتالي ليس بديهيا أن ينشأ اتصال جذري ما بين الفلسفة والسينما، خاصة إذا ما تم النظر إلى المسالة من وجهة إنشائية وكذلك فلسفية "فالسينما حديثة العهد كإبداع فني يعتمد على مقومات تقنية، في حين أن الفلسفة تاريخها شاهد على الفكر منذ القدم، فإذا كانت الفلسفة خطابا سمته التحليل والإفهام، فان السينما هي مجال إبداعي تقني يقوم على بناء صورة متحركة .

هكذا افتتح دولوز عصرا جديدا للفلسفة وإن كان قد سبقه في ذلك فلاسفة، ولكنه بشر بان فيلسوف المستقبل هو فنان مستكشف العوالم القديمة إلا أن التفلسف أصبح يضم قطاعات ، فاحتفال مدونة دولوز بالسينما يجعل الفكر منفتحا وأكثر من ذي قبل على المجالات الحيوية للتجربة الإنسانية والسينمائيون لا يمكن عزلهم من صنف المفكرين لان التفكير لا ينحصر في الانشغال بالماهيات بل يكون بواسطة نمط جديد المفهوم الصورة –الحركة والصورة –الزمن حيث استثمر فيهما دولوز جملة من المفاهيم الفلسفية لتحليل الخطاب السينمائي لدى المخرجين العالميين أمثال: برتولوتشي، فلليني، غودار، دوسيكا، ....الخ .

كما اعتبر دولوز أن (الصورة –الحركة) هي الصورة المميزة للصورة السينمائية وقد حدد الصورة بالصورة – الإدراك، الصورة – الإحساس – الصورة –الفعل[13]

وعليه نجد دولوز قد نظر للصورة السينمائية من خلال ثلاثة أنماط أساسية وبذلك صنف الأفلام بحسب أنماط صورها بحيث لكل نوع من أنواع الصورة –الحركة له ما يوازيه والصورة في الحركة وحركية الكاميرا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

***جيل دولوز وفلسفة السينما:**

تبرز أهمية دولوز للسينما في أنها تكتسي سبقا مخصصا لهذا الطابع الفني والذي يعلن فيه الفيلسوف منذ البداية هدف مشروعه حيث يقول "ليس هذه الدراسة تاريخا للسينما وإنما صنافة محاولة في تصنيف الصور والدلالات (العلامات).[14]

بهذا يتحدد الغرض من استخلاص مفاهيم الحقل السينمائي وآليات تفكير الفيلم ذلك أن الصورة السينمائية أصبحت تقرر قناعات توجه الرأي العام وتحدد المشهد التاريخي مما يؤهلها لان تكتسي منزلة لا يمكن للفيلسوف تجاهلها.

وهذا ما يعكسه برغسوني بالمشروع الدولوزي للسينما عبر الرسالة الثالثة المعبرة عن سعادة وتفاؤل يرتقبه برغسون لهذه المقاربة ,مع العلم أن المكاتبات بين الفيلسوفين تعكس هذه الروح التواصلية بينهما

حيث يشير دولوز في المحاضرة الأولى حول الفلسفة والسينما إلى كتب أساسية ثلاث ساهمت في نشأة تفكير فلسفي حول السينما وهي مؤلفي برغسون "مادة وذاكرة"و "التطوع المبدع" فضلا عن كتاب كانط "نقد ملكة الحكم" الذي ربط فيه بين الفن والمخيلة .[15]

وبهذا نجد بان دولوز يسعى إلى استجلاء المفاهيم التي ساهمت السينما في تشكيلها مستثمرا الإرث البرغسوني وبذلك يعتقد دولوز ان عبقرية بروغسون قد مكنته من اختراع مفهومي السينما الرئيسيين الحركة والزمن حيث يقول دولوز:

"لقد كانت أطروحته المتمثلة في المقاطع المتحركة والصور الزمنية هي التي ارتبطت بطريقة بجوهر السينما".[16]

إذن نجد دولوز من هذا المنطلق ميز بين الصورة الحركة والصورة الزمن .

الخاتمة

ختاما يمكننا القول بان السينما "لغة صور" لها مفرداتها وبيانها وقواعدها ، والفلسفة نمط من المعرفة يعلو على كل الأغراض، مادمت تقوم على خلق المفاهيم، والتفكير بالصورة عبر السينما مختلف عن التفكير الفلسفي وحتى عن تفكير إنسان عادي والمقاربة بين الفلسفة والسينما لم تنطوي على أي خلط بينهما، بل كان ظاهرها يميل إلى إقرار التشابه بينهما ولكن باطنها كان يضمر حرص شديد منه على تمييز كل منها عن الأخر وعدم الخلط بينهما.

الهوامش:

1– د نجلاء مصطفى فتحي غراب ، "سيميولوجيا الصورة المرئية وعلاقتها باللغة اللسانية "، مجلة الفتوحات، العدد3، جامعة بني سويف ، مصر ، جوان2016، ص12.

2–نفس المجلة، ص16

3–قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة ، مغامرة سيميائية في اشهر الإرساليات البصرية في العالم ، الوراق للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، 2007، ص152

4–نفس المرجع ، ص (155-156)

5–المرجع نفسه، ص194.

6–عزالدين الخطابي، حوار الفلسفة والسينما، برغسون، دولوز، غودارو اخرون، منشورات عالم التربية، ط1، الدار البيضاء، 2006، ص85.

7– جيل دولوز، الصورة –الحركة أو فلسفة الصورة، تر حسن عودة، منشورات وزارة الثقافية، المؤسسة العامة للسينما، دمشق، ط1، 1997، ص 261 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

8–إبراهيم شمس الدين، في إنشاء الفلسفي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2008، ص11.

9–نفس المرجع، ص 13.

10–المرجع نفسه، ص16.

11–نيغيل واربورتون، الفلسفة الأسس، تر:محمد عثمان، مر:سمير كرم، الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت لبنان، ط1، 2009 ، ص22.

12–مؤلف جماعي، حوار الفلسفة والسينما، تر عزالدين الخطابي، مشورات عالم التربية الأردن، 2006، ص105

13–جيل دولوز، الصورة –الحركة أو فلسفة الصورة، م س، ص209.

14–عتوتي زهية، "المنعطف الفلسفي للدراسات السينمائية "(برغسون، دولوز، ميرلوبونتي)، مجلة التدوين، العدد8، جامعة وهران2، ديسمبر2016، ص72.

15– جيل دولوز، م س، ص3

16–نفس المرجع، ص8

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com